

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الأولى

أحمدك ربي حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، كما ينبغي لجلال وجهك وسابغ نعمك . وأصلي وأسلم على محمد عبدك ورسولك ، ورحمتك المهداة للعالمين ، وعلى من دعا بدعوته واهتدى بهداه إلى يوم الدين .

أما بعد .. فمنذ بضعة عشر عاماً كنت شرعت أكتب عن «حتمية الحل الإسلامي» في مواجهة الأصوات التي تعالت في مصر وفي العالم العربي حينذاك، تنادي بما سموه «حتمية الحل الاشتراكي».

وكان من الأبواب التي قررت كتابتها: باب بعنوان «خصائص الحل الإسلامي» أخذ يطول ويمتد، حتى أصبح - بمساحته التي انتهت إليها - جديراً أن ينفرد به جزء من أجزاء سلسلة «حتمية الحل الإسلامي».

ولكنني عند التأمل والتحقق ، وجدت أن هذه الخصائص، ليست إلا خصائص الإسلام ذاته . ولعل الأولى بها أن تُفرد في كتاب مستقل عن تلك السلسلة التي لها طابع الرد أو المواجهة ، ليبقى للكتاب طابعه الثابت الدائم .

ثم إنني منذ حوالي خمس سنوات كنت قد دُعيت إلى «ندوة التشريع الإسلامي التي عقدت بمدينة البيضاء في ليبيا الشقيقة، بدعوة من الجامعة الليبية، وبإشراف كلية الدراسات الإسلامية واللغة العربية بالبيضاء، وذلك لإلقاء بحث تحت عنوان: «الشرعية الإسلامية صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان»^(١) .

وكان من الموضوعات التي فرضت نفسها عليّ، لتأييد صلاحية الشرعية وخلودها: موضوع «خصائص الشرعية الإسلامية» الذي تبين لي عند التوغل في كتابته أنه جدير - أيضاً - أن يستقل به كتاب.

(١) نشره المكتب الإسلامي في بيروت بعنوان: شرعية الإسلام: خلودها وصلاحها للتطبيق في كل زمان ومكان . وذلك بعد توسيع وتعديل في البحث الأصلي، كما نشرته دار الصحوة بالقاهرة بعنوان : شرعية الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان .

ثم رجحت فيما بعد أن أدمج خصائص الشريعة - أو التشريع - في الخصائص العامة للإسلام كله ، بوصفه عقيدة وعبادة وخلقاً وتشريعاً .

وعلى هذا استقر رأيي ، وإن كان هناك من المتصلين بي ، من لا يزال يرى أفراد خصائص الشريعة بالنشر مستقلة ، لأن كثيراً من المثقفين المشتغلين بالفقه والقانون ، يهتمهم الاطلاع على هذا الجانب خاصة .

وقد يعوقهم عن الاستفادة به ، على الوجه الأكمل ، اندماجه في الخصائص العامة التي قد لا يلتفت بعضهم إليها كثيراً ، وقد أفكر في ذلك فيما بعد ، إذا يسر الله تعالى .

ولما أنشئت كليتنا التربية للمعلمين والمعلمات في قطر ، ونبط بي تأسيس قسم الدراسات الإسلامية ، وتدرّس مادة «الثقافة الإسلامية» لجميع أقسام الكليتين ، وكان ضمن منهج هذه المادة «خصائص الإسلام العامة» كانت فرصة لي لإنضاج ما كتبتّه من قبل وإعداده للنشر .

هذا ، وكان الشهيد سيد قطب: قد أخرج - وهو في سجنه - كتابه القيم «خصائص التصور الإسلامي» . وهو - كما يبدو من عنوانه - يعني بجانب واحد من جوانب الإسلام الرحب ، وهو جانب التصور والاعتقاد .

أي ما يوضح خصائص الفكرة الكلية للإسلام عن الله والكون والحياة والإنسان . أما خصائص المنهج أو المذهب أو «النظام» الإسلامي كله - بما في ذلك العقائد والعبادات والأخلاق والشرائع - فلم يكن ذلك هدفه في الكتاب ، وإن عرض لشيء منه في بعض الأحيان تبعاً لا قصداً .

لهذا كان هذا الكتاب تنمة لكتاب الشهيد رحمه الله . ولا عجب أن اقتبست بعض العناوين الرئيسية منه مثل: الريانية ، والشمول ، والواقعية ، والتوازن . وإن لم ألتزم تفسيره لها تماماً . فقد أوسّع أو أضيق ، وقد أزيد أو أنقص .

مثال ذلك أنه تحدث عن خصيصة «الريانية» بمعنى ريانية المصدر والأساس ، وأفاض في ذلك إفاضة بليغة . ولكنه - رحمه الله - لم يلتفت إلى المعنى الآخر للريانية ، وهو ما سميناه «ريانية الغاية والوجهة» وهو معنى أساسي وخطير ،

وربما كان هو المتبادر إلى ذهن المسلم عندما تذكر كلمة «الريانية» أو «الرياني» .
كما أنه - رحمه الله - ركز على معنى «الثبات» في الإسلام، وأكد تأكيداً
قوياً . وهذا مقبول في جانب التصور والاعتقاد ، كما أنه كان لازماً لمواجهة دعاة
«التطور» المطلق في عالمنا ، ولكن إذا تحدثنا عن الإسلام عقيدة وشريعة ونظام حياة،
أجد أن خصيصة الإسلام هي الجمع بين الثبات والمرونة معاً ، وهذا ما أثبتته هنا .
وقد تناولت بالشرح والتحليل هنا سبع خصائص، هي:

- ١- الريانية.
 - ٢- الإنسانية.
 - ٣- الشمول، ونعني به شمول الزمان والمكان والإنسان ، وهو في الواقع يضم
خصائص ثلاثاً هي: الخلود ، والعالمية ، والاستيعاب.
 - ٤- الوسطية ، أو التوازن .
 - ٥- الواقعية .
 - ٦- الوضوح .
 - ٧- الجمع بين الثبات والمرونة .
- ولا أزعج أن هذه هي كل خصائص الإسلام العامة ، فمن الممكن أن يزداد
عليها ، وربما فعلت ذلك في طبعة لاحقة إن شاء الله .
كما لا أزعج أنني وفيت كل خصيصة منها حقها، ولكنني اجتهدت وحاولت
ولكل مجتهد نصيب ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ .

القاهرة في ٢٣ صفر سنة ١٣٩٧ هـ

١١ فبراير سنة ١٩٧٧ م

يوسف القرضاوي

* * *